١٠

فضل القيام لا سيما في رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس..

يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزَّمل:١-٤] .

---

(١) تخطب هذه الخطبة في الجمعة الثالثة من رمضان .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَكَثَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عَلَى هَذِهِ الْحَالِ عَشْرَ سِنِينَ يَقُومُ اللَّيْلَ، كَمَا أَمَرَهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُومُونَ مَعَهُ، فَأَنْزَلَ الله عَلَيْهِ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فَخَفَّفَ الله تَعَالَى عَنْهُمْ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ.

قال ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا فِي قَوْلِه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل:١-٤] فَأَمَرَ الله نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ خَفَّفَ الله عَنْهُمْ وَرَحِمَهُمْ، فَأَنْزَلَ بَعْدَ هَذَا: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ فَوَسَّعَ الله - وَلَهُ الْحَمْدُ-وَلَمْ يُضَيِّقْ. اهـ

فانظر يا أيها المسلم إلى رحمة الله كيف خفف عن عباده، وقد كان قيام الليل واجباً، فكان يجب على العبد أن يصلي من الليل نصفه أو ثلثه، فخفف الله عنا، فينبغي علينا أن نشكر الله على التيسير، ومن شكره، المحافظة على قيام الليل، وذلك بقيام ما تيسر منه، فإن كثيرًا من المسلمين لا يقومون في الليل إلا في رمضان، وهؤلاء فوَّتوا على أنفسهم خيرًا كثيرًا، لأن قيام الليل له فضائل عظيمة، كما سيأتي في ذكر فضائله.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ قِيَامُ اللَّيْلِ فَرِيضَةً فِي الابتداء ثم بين قَدْرَهُ فَقَالَ: ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ ﴾ إِلَى الثلث ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ، عَلَى النِّصْفِ إِلَى الثُّلُثَيْنِ، خَيَّرَهُ بَيْنَ هَذِهِ المنازل، فَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابُهُ يَقُومُونَ عَلَى هَذِهِ المَقَادِيرِ، وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يَقُومُ حَتَّى

يُصْبِحَ مَخَافَةَ أَنْ لَا يَحْفَظَ الْقَدْرَ الْوَاجِبَ، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ فَرَحِمَهُمُ اللهُ وَخَفَّفَ عَنْهُمْ وَنَسَخَهَا بقوله: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المزمل: ٢٠]، فَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِ السُّورَةِ وآخرها سنة. اهـ. ثم ذكر سندا إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذا المعنى.

فالحاصل أن قيام الليل كان واجبًا فصار مستحبًا، لكنه صفة الصالحين ودأب الأنبياء والمرسلين ، وقربة إلى رب العالمين ونور على وجوه المؤمنين ومفزع الخائفين.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزُّمَر:٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياق المدح لعبادالرحمن:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٤] .

ووصفهم بأنهم ساجدين راكعين مسبحين بحمده، وأنهم يتركون أماكن النوم والراحة تهجدا لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٦].

ثم بين ما أعد لهم في الجنة، وما أخفى لهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو

ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى... فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.اهـ.

ومن فضائل قيام الليل: أن الله يكفر به السيئات ويرفع به الدرجات ويقي به العبد من الآثام والمهلكات، وهو دأب الصالحين يتقربون به إلى رب العالمين.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنّه قَالَ: « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ» .

وقيام الليل عز المؤمن وشرفه. فقد روى الطبراني عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: « **يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِه، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**» .

ومن فضائل قيام الليل ياعباد الله : أنه من أسباب دخول الجنة .فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» .

وقيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**».

ويزيد أجر القيام في شهر رمضان لفضيلة هذا الشهر، ولما اختصه الله بخصائص كثيرة، ويكون أفضل في العشر الأواخر من رمضان ، ويكون أفضل في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والتي يكون قيامها خير من قيام ألف شهر.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: « **مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» .

وشروط المغفرة هنا أن يقومه إيمانًا واحتسابًا :أي بنية وعزيمة وإخلاص راجيا ثوابه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مصدقًا بمشروعيته منشرحًا به صدره طيبةً به نفسه.

ويستحب في قيام الليل الإطالة في القيام والركوع والسجود، والسُّنَّة في عدد الركعات إحدى عشرة ركعة، لما روى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ** » أي: طول القيام.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت. اهـ.

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قالت: « **مَا كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِه عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا**» .

أي: لكمال حسنهن وطولهن فهن مستغنيات عن السؤال عن وصفهن فقد كان عليه الصلاة والسلام يطيل فيهن ويقرأ مترسلاً ويطيل الركوع والسجود كما سيأتي قريبًا في صفة قيام النبي ﷺ.

ويستحب الاستمرارفي القيام مع الإمام حتى ينصرف من الصلاة، فإن ذلك كقيام ليلة، فقد روى أبو داود عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « **صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا**

حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ فَقَالَ» إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » .وفي رواية عند الترمذي: « **كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ** » .

وأفضل القيام هو التهجد في الثلث الآخر من الليل، وهو وقت النزول الإلـهي، ويشرع القيام في أي ساعة من الليل فقدقام النبي ﷺ في جميع أناء الليل، في أوله ووسطه وآخره.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: « **مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ**» .

لكن يستحب أن يكون من آخر الليل قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩] .

قال المفسر الطبري وابن كثير: التهجد هو التيقظ بعد النوم.

وروى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ» . وقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: مَحْضُورَةٌ. ومعنى مشهودة :أي :محضورة، تحضرها الملائكة.

وروى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: « **كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَهُ**» .

ويستحب للعبد أن يصلي القيام في بيته إلا في رمضان فإنه يشرع صلاة القيام في المسجد جماعة لفعل النبي ﷺ وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فصارت صلاة التراويح والقيام سُنَّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإنما تركها النبي ﷺ جماعة في المسجد في آخر أمره؛ خشية أن تفرض عليهم فيعجزون عنها، فلما توفي -عليه الصلاة والسلام - وانقطع الوحي وأكمل الله الدين

وانقضى التشريع وأُمن فرضيتها، أحياها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المسجد جماعة، فأحيا سُنَّة سَنَّها رسول الله ﷺ كما هو مبين في صحيح البخاري.

فلا تعجز أيها المسلم عن هذه العبادة العظيمة ولا تتكاسل عنها فإن الشيطان يسعى إلى تثبيط الناس عنها بمكره ووسائله الخبيثة فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**» .

بمعنى أنه يثقِّل عليه نومه فإن قام وذكر الله وتوضأ وصلى انحلت تلك العقد وإلا صار حاله ،كما أخبر النبي ﷺ خبيث النفس كسلان ثقيلاً مكتئبًا ملاما، بل ربما بال الشيطان في أذنيه.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ، فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: « **بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ**» .

ومعنى بال في أذنيه: قال بعض أهل العلم: هو البول على الحقيقة.

وقال بعضهم: بل أذلَّه وأفسده واستعلى عليه وخدعه، ذكره النووي.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كفى لامرئ من الشر أن يبول الشيطان في أذنه.

فهذا الذي نام حتى أصبح لم يصل من الليل بال الشيطان في أذنه، فكيف بالذي لم يصلِ صلاة الفجر؟، نسأل الله العافية.

فنعوذ بالله من تسلط الشيطان، ونعوذ بالله من مكره وكيده ،وهمزه ونفخه ونفثه.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه، وأصلي وأسلم على نبيه الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فبعد أن عرفنا شيئًا من فضائل قيام الليل وما أعد الله للقائمين، نحب أن نعرف كيفية قيام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لنقتدي به، فهو قدوتنا وأسوتنا وخير الهدي هديه.

كيف كان قيام نبينا ﷺ؟، وهو الذي غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو سيد الناس وخيرتهم، وهو صاحب الشفاعة العظمى، وصاحب لواء الحمد، وهو صاحب الوسيلة الرفيعة في الجنة، وأول من يدخل الجنة، لا يفتح لأحد قبله، ومع هذا كان يقوم الليل حتى تشققت وتورمت قدماه من طول القيام عليه الصلاة والسلام .

فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: « **أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا** » ، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ» .

إنه لما عرف نعمة الله عليه عظم شكره لله وقدر الله حق قدره ، ولما كان أخشى الناس وأتقاهم لله عرف قدر العبادة، وكثرت عبادته ﷺ، فقد بات

ليلة يصلي بآية يرددها يركع بها ويسجد حتى طلع الفجر.

فقد روى الإمام أحمد عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح ، وهي ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة:١١٨] ، بها يركع وبها يسجد وبها يدعو فلما أصبح قال له أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها وتدعو بها وقد علمك الله القرآن كله لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قَالَ : « **إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا ، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا** » .

فقد كان عليه الصلاة والسلام رحيماً بأمته، كان يهمه أمرهم ويدعو لهم في صلاته حتى وعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن لا يخزيه في أمته.

وكان يصلي ويقرأ ويدعو ويبكي، لما روى ابن حبان عَنْ عَطَاء قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ... فقَالَ ابن عُمَيْرٍ : أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله ﷺ ، قال : فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ : «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**» قُلْتُ : وَالله إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ ، وَأُحِبُّ مَا يَسُرُّكَ ، قَالَتْ : فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ ، قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ : يَا رَسُولَ الله لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ: « **أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾** [آل عمران: ١٩٠].

وكان إذا فاته قيام الليل لعذر قضاه في النهار، فقد روى الإمام مسلم عَنْ

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً**» .

فيشرع قضاء القيام لمن فاته لهذا الحديث.

وكان ﷺ يطيل في قيامه وقراءته وركوعه وسجوده ويدعو ويسبح ويستغفر ويقرأ بتؤده وتدبر، فقد روى الإمام مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: « **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: « **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: « **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: « **صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ**»، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أي: همَّ أن يصلي مع النبي ﷺ جالسًا لكن تأدبًا معه لم يجلس، علمًا بأنه يجوز الصلاة جلوسا مع الإمام في صلاة الليل.

فيستفاد من هذا الحديث تأدب المأموم مع الإمام وعدم مخالفته والجدال والخصام معه إذا أطال،أو عمل بالسُّنَّة،ومن تعب أو عجز فله أن يصلي جالسًا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : فِيهِ أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يُخَالَفُوا بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا شَقَّ عَلَى الْمُقْتَدِي فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ الْقِيَامُ وَعَجَزَ عَنْهُ جَازَ لَهُ الْقُعُودُ وَإِنَّمَا لَمْ يقعد بن مَسْعُودٍ

لِلتَّأَدُّبِ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَفِيهِ جَوَازُ الِاقْتِدَاءِ فِي غَيْرِ المَكْتُوبَاتِ وفيه استحباب تطويل صلاة الليل. اهـ

هذه مقتطفات من قيام النبي ﷺ، وأما في رمضان فقد كان يجتهد فيه أكثر من غيره ويجتهد في العشر الأواخر أكثر من غيرها.

فقد روى الإمام مسلم عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: « كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» .

فكان يحيي الليل بالعبادة، ويوقظ أهله لصلاة الليل، ويعتزل النساء، ويشمر في العبادة أكثر من عادته.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: « كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَه» .

فهذه هي عبادة رسول الله ﷺ، أفلا تقتدي به أمته؟.فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في كتابه الكريم: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فمن أراد القرب من الله ومرافقة رسول الله ﷺ ، فليكثر من الصلاة، لا سيما النافلة .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** » .

ويزداد فضل السجود في ثلث الليل الآخر.

فقد روى الترمذي عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُن**» .

والقرب هنا هو قرب معية ، أي: يكون الله معه بنصره وتأييده ولطفه وإجابة دعائه.

ومن فضائل الصلاة لا سيما قيام الليل أن المكثر منها والمحافظ عليها يحظى بمرافقة النبي ﷺ فقد روى مسلم عن رَبِيعَة بْنُ كَعْب الْأَسْلَمِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: « **سَلْ** » فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: « **أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ** » قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: « **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ** » . أي بكثرة الصلاة.

وعبر عن الصلاة بالسجود من باب التعبير عن الكل بالجزء، ولفضل السجود فإنه أشرف ركن في الصلاة ، لحيث وأن العبد يمرغ أشرف عضو فيه وهو وجهه لله رب العالمين، ويعبر عن الركعة بالسجدة، ويدخل في كثرة السجود النوافل والفرائض.

فنسأل الله العظيم أن يتوفانا ساجدين، وأن يبعثنا ساجدين، وأن يجعل الصلاة قرة أعيننا، وأن يعيننا على طاعته و ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعلنا من رفقاء نبيه ﷺ في الجنة.

اللهم أعنا على الصلاة والصيام والقيام وتلاوة القرآن، برحمتك يا أرحم الراحمين.